

دور المرأة السياسي والإداري في الدولة العباسية خلال عصر النفوذ التركي (232 - 334 هـ)

1-د. آمنة محمود عودة الذيابات*، جامعة حائل، (المملكة العربية السعودية)

The political and administrative role of women Abbasid state during the era of Turkish influence From (232 - 334 A.H.)
Dr. Amna Mahmoud Odeh Al-Thiabat Department of Social Sciences, University of Hail (Kingdom of Saudi Arabia)
anadyabat@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2022 /01/04 تاريخ القبول: 2022 /03/30 تاريخ النشر: 2022 /06/15

ملخص:

يتناول البحث دور المرأة السياسي والإداري في الدولة العباسية خلال عصر النفوذ التركي (232-334هـ) وجاء في مقدمة و ثلاثة مباحث :المبحث الأول: تناول دور المرأة في عصر الخلفاء المتوكل على الله - المنتصر بالله -المستعين بالله- المعز بالله " .أما المبحث الثاني: فاختص بدور المرأة في عصر الخليفة المقتدر بالله " واهتم المبحث الثالث: في دور القهرمانات في عصر الخلفاء -المقتدر بالله -المتقي بالله - المستكفي بالله. وقد اعتمدت على عدد كبير من المصادر والمراجع التاريخية منها الطبري في كتابه تاريخ الرسل والملوك، والتنوخي في كتابه نشوار المحاضرة ، ومسكويه في كتابه تجارب الأمم والصابي في كتابه الوزراء وغيرهم الكثير ، وانتهى البحث بنتائج الدراسة وأهمها: إن عصر النفوذ التركي في الدولة العباسية مثل حكم المرأة بامتياز وتبين ذلك من خلال تدخلها المباشر في مختلف شؤون الدولة بل أصبحت قرارات الدولة لا تخرج إلا بأمرها فتدخلت في تعيين وعزل الخلفاء والوزراء والكتاب وإلّا ستثارت بأموال الدولة والنظر في القضاء والمظالم ، وكان لذلك أثره السلبي على الدولة سياسيا وإداريا مما ساهم في ضياع الأمور، وانتشار الفوضى، وإضعاف الدولة مع عوامل أخرى واجهتها الدولة العباسية خلال عصر النفوذ التركي. كلمات مفتاحية: المرأة -الإداري - الدور - العصر التركي - السياسي- النفوذ.

*- المؤلف المرسل

Abstract: The research deals with the political and administrative role of women during the Turkish era of influence (232-334 AH). It came in an introduction, introduction and three topics: The first topic: It dealt with the role of women in the era of the Caliphs al-Mutawakki on God- Al-Muntasir biallah- Al-Mustaein biallah- Al-Muetazu biallah. "As for the second topic: It is concerned with the role of women in The era of the Caliph Al-Muqtadir Billah. The third study focused on the role of the Qahramanat in the era of the caliphs - al-Muqtadir - al-Muttaqi - al-Mistkfi And it has relied on a large number of historical sources and references, including Al-Tabari in his book The History of the Messengers and Kings, and Al-Tanukhi in his book Neshwar lecture, Miskoyeh in his book The Experiences of Nations and AL-Sabi in his Book of Ministers and many others, and the research ended with the results of the study, the most important of which is that the Turkish era of influence represented the rule of women with distinction and that in their direct interference in various affairs of the state. The state and looking into the judiciary and grievances, and this had a negative impact on the state politically and administratively, which contributed to the loss of affairs, the spread of chaos, and the weakening of the state with other factors that the Abbasid state faced during the era of Turkish influence.

Key words : women - the administrative - the role - during - the - era - the Turkish - the political - the era - the influence- From (232 - 334 AH).

مقدمة:

يعتبر عصر النفوذ التركي (232 – 334 هـ) ، من المراحل الهامة في التاريخ الإسلامي وخاصة العباسي، وقد أوردت المصادر التاريخية المعلومات المستفيضة عنه. وجاء موضوع البحث بعنوان دور المرأة السياسي والإداري في الدولة العباسية خلال عصر النفوذ التركي (232 – 334 هـ) ويهدف البحث إلى التعرف على دور المرأة في هذه الحقبة الزمنية من العصر العباسي من خلال الدور السياسي والإداري الذي قامت به المرأة خاصة نساء القصر العباسي والقهريانات في عصر النفوذ التركي (232 – 334 هـ) التي حكم خلالها الخلفاء العباسيون :المتوكل على الله – المنتصر بالله –المستعين بالله –المعز بالله - والخليفة المقتدر بالله . وكذلك دراسة دور القهريانات السياسي والاداري في عصر الخلفاء -

المقتول بالله -المتقي لله- المستكفي بالله. مستخدمة المنهج التاريخي في البحث ، أما عناصر البحث فقد جاءت في ثلاثة مباحث :-

المبحث الأول: تناول دور المرأة السياسي والإداري في عصر الخلفاء العباسيين :المتوكل على الله - المنتصر بالله -المستعين بالله -المعز بالله " والمبحث الثاني: بعنوان دور المرأة السياسي والإداري في الدولة العباسية في عصر الخليفة المقتول بالله " المبحث الثالث: فاختص بدور القهرمانات السياسي والإداري في عصر الخلفاء العباسيين: - المقتول بالله -المتقي لله- المستكفي بالله. معتمدة في البحث على العديد من المصادر والمراجع التاريخية،

المبحث الاول : دور المرأة السياسي والإداري منذ عصر المتوكل على الله - المعز بالله .

كانت منزلة المرأة في العصور العباسية بصورة عامة تختلف عما سبقها من عصور، ففي العصر العباسي توغلت الثقافات الفارسية والتركية وغيرها في الثقافة العربية الإسلامية ، فأفضى إلى تغيير جذري في عادات وتقاليد المجتمع ،انعكس تأثيره على المرأة بسبب زيادة الاختلاط بالعناصر الأجنبية و تكاثر وجود الجواري والتسري بهن على المستويين الأرستقراطي والعامية، ويؤكد التوحيدي تكاثرهن بقوله " وأحصينا في بغداد بجانب الكرخ ، ستين وثلاثمائة جارية مضنية " (1)وقد وصل عدد كبير من الجواري إلى بغداد عن طريق الشراء أو الأسر، وتنوعت جنسياتهن، فمنهن الفارسيات والخراسانيات والأرمنيات والتركيات والروميات والأفريقيات والكُرخ والخطأ والهند والحبشة والخزر والصين (2).وكثر عددهن في القصور والدور، لما امتازت به الجارية من جمال الصورة وعذوبة اللسان ، وكن المفضلات على النساء الحرائر المتحجبات ، وأصبحت الجارية تهدي كأنها سلعة ، خاصة بين أفراد الطبقة الأرستقراطية ويذكر التنوخي " أن الزوجة نفسها أصبحت تهدي زوجها جارية فلا يهتمها ذلك " ، وهذا أدى إلى تراجع مكانة المرأة العباسية تدريجيا في المجتمع العباسي ، وبلغت درجتها في القرن الرابع الهجري وخاصة بين نساء العامة (3).ويذكر السيوطي ان الخلفاء خاصة أكثروا من شراء الجواري كثرة مفرطة ، ويقول " أنه كان لدى المتوكل على الله منهن أربعة آلاف جارية ". وعندما تولى الخلافة أهدى إليه الأموي عبيد الله بن طاهر هدية فيها مائتا وصيف ووصيفة، كما أهدى الأمير زيادة الله بن

(1) شوقي ضيف، العصر العباسي الثاني، ط2 ، دار المعارف ، مصر ، 1975م ، ص 82.

() اكتمال اسماعيل ، الحياة الاقتصادية والاجتماعية في العراق، دمشق ، 1990م ،
(²ص 51.

(³) شوقي ضيف ، العصر العباسي ، ص 82 – 83 .

الأغلب إلى الخليفة المكتفي بالله عندما تولى الخلافة مائة وخمسون جارية (4) وكان جميع أمهات الخلفاء خلال عصر النفوذ التركي الممتد من 232 - 334 هـ ، هن من الجواري (5). وقد تمتعن بالإضافة إلى نساء حاشية القصر بالحرية السياسية خلال هذه الفترة الزمنية من الدولة العباسية فمن هن أبرز النساء اللاتي لمع دورهن في عصر الخليفة العباسي المتوكل على الله ؟ وللإجابة سنتعرف عليهن من خلال هذا المبحث .

السيدة قبيحة (ام المعتز بالله)

شخصيتها : تعتبر السيدة قبيحة المرأة السياسية الأولى المتنفذة خلال عصر الخليفة المتوكل على الله وابنها المعتز بالله فيما بعد وذلك لتدخلها في سياسة الدولة تحقيقا لمصالحها. والسيدة قبيحة كما يطلق عليها هي زوجة الخليفة المتوكل على الله (232 - 247 هـ) وأم الخليفة المعتز بالله واسماعيل ابني المتوكل . وهي جارية رومية الأصل (6) رائعة الجمال ، فائقة الملاحظة (7). سميت بهذا الاسم ، دلالة على تسمية الشيء بضده " وكما يسمى العبد الأسود بكافور " ، وقيل سميت بذلك خوفا عليها من الإصابة بالعين (8)، وقد كتبت على خاتمها " أنا قبيحة " (9) كانت السيدة قبيحة من أفضل النساء والجواري لدى المتوكل على الله ، حتى أنه خلع عليها خلع سنية، وأجزل لها العطاء (10). فازداد نفوذها، وأصبحت من أشهر سيدات البلاط العباسي في سامراء، وقد وجهت سياسة الدولة في حياة الخلفاء الذين عاصرتهم وهم المتوكل على الله 232 - 255 هـ . وابنها المعتز بالله ، وكانت تستأثر بحب وشغف المتوكل

(4) شوقي ضيف، العصر العباسي ، ص 83.

(5) شوقي ضيف ، العصر العباسي ، ص 83.

(6) تاج الدين أبي طالب علي بن أنجب الخازن البغدادي ، نساء الخلفاء، تح د. مصطفى جواد ، دار

المعارف (مصر ، ص 94؛ أبو المحاسن جمال الدين يوسف ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة في ملوك

مصر والقاهرة، 1955، ج3، ص 38

(7) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ، ج3، ص 38.

(8) أبو منصور عبد الملك بن محمد النيسابوري الثعالبي، لطائف اللطف ، تح عمر الأسعد ، ط 2 ،

دار الميسرة ، بيروت ، 1987 م ، ص 97 ، ص 94 .

(9) الثعالبي، لطائف اللطف ، ص 97.

(10) ابن كثير (ت 774 هـ / 1372 م) عماد الدين أبي الفداء اسماعيل بن عمر الدمشقي، البداية

والنهاية (14 جزء) دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان، 1988 م. ج11، ص 19.

على الله بها لتنفيذ رغباتها وتحقيق أهدافها ومصالحها . وقد توفيت السيدة قبيحة سنة 264 هـ، في سامراء بعد أن أعادها الخليفة المعتمد من منفاها في مكة المكرمة إلى سامراء(11)

دورها السياسي :

سوق الخلافة لابنها المعتز : كان الخليفة المتوكل على الله قد عهد بولاية العهد لابنه المنتصر بالله، ثم المعق بالله، ثم المؤيد، ولكن بسبب محبته لأم المعتز بالله (قبيحة) أراد تقديم ولاية العهد لابنها (المعتز بالله) (12). ويذكر السيوطي أن السيدة قبيحة هي التي دفعت المتوكل على الله لتقسيم وتنظيم ولاية العهد بين أبناء المتوكل على الله الثلاثة حيث عقد لكل واحد منهم : لواء العهد ، ولواء العمل ، وكان ذلك سنة 235 هـ ، كما أضاف المتوكل على الله للمعتز بالله خزائن بيت المال في جميع الأفاق ، ودور الضرب وأمر أيضا بضرب اسم المعتز بالله على الدراهم وكان المعتز بالله لا يزال صغير السن(13). أما المنتصر بالله فقد رفض الموافقة على التنازل عن ولاية العهد لأخيه المعق بالله فأخذ المتوكل على الله يحضره مجالس العامة ويحط من شأنه ويشتمه ويتوعده ، مما أدى إلى اشتراك المنتصر بالله مع الأتراك في قتل والده والتخلص منه (14).

ومن مظاهر تنفيذ السيدة قبيحة أم المعتز بالله وتدخلها في ولاية العهد ، تذكر المصادر أنها خلعت المؤيد من ولاية العهد، وجعلتها لابنها اسماعيل وهو أخو المعق بالله لأبيه وأمه(15). وكانت تستغل تقربها

(11) ابن الساعي، (ت 674 هـ / 1275 م) تاج الدين أبي طالب علي بن أنجب ابن الساعي الخازن البغدادي، نساء الخلفاء المسمى جهات الأئمة الخلفاء من الحرائر والإماء، تح: مصطفى جواد ، دار المعارف مصر، ص 94، الذهبي (748 هـ / 1347 م) شمس الدين محمد بن أحمد ، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (حوادث سنوات) تح: عمر عبد السلام تدمري، ط1، دار الكتب العربي ، بيروت – لبنان ، 1992. ص 13، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج11، ص 40.

(السيوطي) (ت 911 هـ / 1505 م) جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ، تاريخ الخلفاء ، تح: محمد محي الدين عبد الحميد ، الطبعة الرابعة ، القاهرة. ص 280، الشابشتي ، الديارات ، ص 152 – 153¹²).

(الطبري (ت 310 هـ / 923 م) أبو جعفر محمد بن جرير ، تاريخ الأمم والملوك تح: محمد أبي الفضل إبراهيم ، بيروت – لبنان، ج11، ص 28.

(¹⁴) السيوطي، تاريخ ، ص 280.

(المسعودي (ت 346 هـ / 957 م) أبو الحسن علي بن الحسين بن علي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر (¹⁵) (أربعة أجزاء) تح: محمد محي الدين عبد الحميد، ج4، ص 176.

من المتوكل على الله ، وتأمراً بإخراج السجناء من الحبس ومنهم الشاعر علي بن الجهم(16). وفي عهد المستعين (248 – 251 هـ) برز دور السيدة قبيحة في توجيه سياسة الدولة ، حيث أرادت إبعاد المستعين بالله وجعل الخلافة لابنها المعتز بالله ، فحصلت اضطرابات وحروب أهلية بين الخليفة المستعين بالله في بغداد و أخيه المعز بالله في سامراء ، حيث أجبر الأول على خلع نفسه وتم تثبيت المعز بالله للخلافة سنة 252 هـ .

وقد أشرفت السيدة قبيحة بنفسها على تطورات الحرب حيث يذكر الخطيب البغدادي في هذا الشأن : " بوع للمعتز بسر من رأى عند خلع المستعين سنة 251 هـ ، فوثب أهل سر من رأى فبايعوا لإبي عبدالله المعتز بالله وركب إلى أمه وهي في القصر المعروف بالهاروني، فلما دخل عليها وسألته عن خبره، قال لها: قد كنت كالمرضى المدنق، وأنا الآن كالذي وقع في النزح، يعني أنه قد بوع له بسر من رأى ، والمستعين خليفة مجتمع عليه في الشرق والغرب "(17).

وقد أمرت السيدة قبيحة أحمد بن طولون بقتل المستعين بالله بعد أن خلع وعهد به إلى ابن طولون فخافت السيدة من بقاء المستعين بالله حياً، وقد أرسلت الرسالة التالية إليه ليقوم بمهمة القتل " إذا قرأت كتابي فجئني برأس المستعين وقد قلدتك واسط "(18). ولكن ابن طولون رفض أن يقتله فقال: " لا رأني الله قتلت خليفة بايعت له أبدا "(19). ولكنها حققت هدفها وقتل المستعين بالله وحيء إليها برأسه ، فأمرت أن يدخل به على الجواري، ويوضع بين يدي جارية مغنية شديدة الحب والإخلاص للخليفة المستعين بالله ، فلما شاهدته ، صرخت وفرغت، فأخفت قبيحة تشمتها، ثم نزلت بها ضرباً على رأسها بالعود "(20) وفي خلافة المعتز بالله (251 – 255 هـ) ازداد تدخل أمه السيدة قبيحة في شؤون الخلافة، فأخذت تحرض المعتز على التخلص من الأتراك قتلة والده المتوكل على الله للثأر له، فقالت له: " يا بني أقتلهم في كل مكان، وأخرجت إليه قميص أبيه المتوكل مخضباً بدمائه، فقال لها:

(أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني، الأغاني، تح : دار إحياء التراث العربي ، بيروت - لبنان، ¹⁶ العلمية ، بيروت - لبنان، ج10، ص 404. 94م، دار الكتب

(¹⁷ أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان، ج2، ص 463.

(¹⁸ حمادة ، محمد ماهر، الوثائق السياسية والإدارية العائدة للعبور العباسية المتتابعة 247-656 هـ ، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1985م ، ص 303

(¹⁹ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج3، ص 6.

(²⁰ رحمة الله ، مليحة ، دور المرأة السياسي في العصر العباسي الثاني، مقالة في مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، عدد (14) ، 1971م، ص 767.)

إرفعيه ، وإلا صار القميص قميصين، وخشي أن يقتلوه كأبيه المتوكل، فما عادت لعادتها بعد ذلك (21).

نفوذها الإداري وسيطرتها على أموال الدولة:

استغلت السيدة شغف الخليفة المتوكل على الله لها، وما خلع عليها من خلع سنية، وما أجزل لها من العطاء، فاتخذت لها كتابا يشرفون على إدارة أموالها وضياعها ومنهم الحسن بن مخلد(22).وقد بلغت نفقاتها في كل سنة مليون دينار(23)، وكانت تستغل المناسبات حيث أمرت في إحداهن " أن تضرب الدراهم عليها بركة من الله لأعذر أبي عبد الله المعتز بالله، فضرب لها ألف درهم ، نثرت على الغلمان والشاكرية وقهارمة الدار والخدم الخاصة من البيضان والسودان، وكان ذلك في عهد الوزير الفتح بن خاقان " (24).وبسبب امتلاكها الأموال والأملأك الواسعة " أمرت ببناء قصر لابنها المعز بالله في الجوسق في الصحن الكامل، ومثلت حيطانه وسقوفه ، فكان أحسن بيت رأي " (25).ورغم امتلاكها الأموال الكثيرة إلا أنها بخلت على ابنها المعتز بالله ورفضت تقديم مبلغ خمسين ألف دينار له منكراً وجود المال معها عندما طلب منها ذلك لتغطية أرزاق الجند، فكان بذلك ضحية لجنده ، حيث قتلوه سنة 256هـ (26).

وكانت السيدة قبيحة تملك أموالاً كثيرة فيذكر السيوطي " أنها امتلكت أموالاً عظيمة من ذلك ألف ألف دينار ، وثلاثمائة ألف دينار ، وسقط فيه سكوك زمرد، وسقط لؤلؤ حب كبار وكيله، وياقوت أحمر ويقدر قيمة السقط الواحد بألفي ألف دينار(27).ويضيف ابن كثير وكان لها من الغلات في كل سنة ما يعدل عشرة آلاف دينار " وبعد مقتل ابنها المعتز بالله ، اختفت السيدة قبيحة عند صالح بن وصيف عدو ابنها فأخذ أموالها جميعاً وقال : " قبحها الله عرضت ابنها للقتل لأجل خمسين

(²¹) الشهابستي (ت 388هـ / 998م) أبو الحسن علي بن محمد ، الديارات ، تحقيق كوركيس عواد ، مطبعة المعارف ، بغداد ، 1951م ، 1966م. دار الرائد العربي ، بيروت – لبنان ، د.ت. ص 152 – 153: الثعالبي ، (ت 429هـ / 1038م) أبو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي النسابوري، لطائف اللطف ، (مجلد واحد) تح: عمر الأسعد ، الطبعة الثانية، دار الميسرة ، بيروت 1987م.ص 45.

(²²) الزهراني، العجز، ص 222.

(²³) ابن كثير، البداية والنهاية، ج 11، ص 19.

(²⁴) الشهابستي، الديارات، ص 152 – 153 .

(²⁵) المصدر نفسه، ص 170.

(²⁶) السيوطي، تاريخ ، ص 359؛ ابن كثير، البداية والنهاية ، ج 11، ص 20.

(²⁷) السيوطي، تاريخ ، ص 359.

ألف دينار وعندها هذا ، فأخذ الجميع وصادره، ونفاها إلى مكة "(28) وبعد نفها كانت تقول " اللهم أخز صالح بن وصيف، كما هتك ستري وقتل ولدي وبدد شملي، وأخذ مالي ، وغربني عن بلدي،..." (29). وبقيت في منفاه إلى أن أمر الخليفة المعتمد بإعادتها إلى سامراء وماتت سنة 264هـ (30).

المبحث الثاني

دور المرأة السياسي والاداري خلال عصر الخليفة المقتدر بالله 295 – 320 هـ
السيدة أم المقتدر بالله (295 – 320 هـ)

شخصيتها: هي جارية من جوارى بغداد الشهيرات ، كانت في أول أمرها جارية لأم القاسم بنت محمد بن عبد الله ، ويقال لها ناعم وهي رومية الأصل (31). ثم اشتراها الخليفة المعتضد بالله فتزوجها ، وولدت له ابنا سماه جعفر وعندئذ غير الخليفة اسمها إلى شغب (32). وسميت بذلك لأنها شاغبت على بقية نساء الخليفة المعتضد بالله (33). وقد أجمعت المصادر على هذا الاسم " شغب " باستثناء السيوطي

(28) ابن كثير، البداية والنهاية ، ج11، ص 20.

(29) ابن كثير، البداية والنهاية ، ج11، ص 20؛ السيوطي، تاريخ، ص 359 – 360.

(31) الذهبي، تاريخ ، ص 13؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج11، ص 40؛ ابن تغري بردي، النجوم

الزاهرة، ج3، ص 38؛ السيوطي، تاريخ ، ص 360.

(32) الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير ، تاريخ الأمم والملوك ، تح: أبي الفضل ابراهيم ، بيروت ، لبنان ، (د. ت ، ط11، ص 28؛ مؤلف مجهول ، العيون والحدائق في أخبار الحدائق تح ، عمر السعيد ، دمشق ، 1973، ط4، ق2، ص 101 .

(33) الطبري، تاريخ ، ط11، ص 28، أبو علي المحسن التنوخي، جامع التواريخ المسمى نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ، تح: عبود الشالجي ، دار صادر، بيروت 1973م ، ط1، ص 242 ؛ ابن مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد ، تجارب الأمم ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ، ج2، ص 40؛ محمد بن علي بن محمد بن العمراني ، الأنباء في تاريخ الخلفاء ، تح : قاسم السامرائي ، لايدن، 1973م ، ص 53؛ ابن الجوزي ، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ، تح: محمد عبد القادر عطا ، مصطفى عبد القادر عطا – مراجعة نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان 1992، ج6، ص 253.

(34) حاملة ، عبد الكريم عبده ، المعتمد في خلافة المعتضد بالله العباسي أحمد بن الموفق، ط1،

عمان ، 1984م ، ص 104 .

الذي انفرد برواية ذكر فيها أن شغب تركية الأصل أسماها غريب (34). وقد تغيبت شغب عن المسرح السياسي في عهد الخليفة المعتضد بالله (270-289 هـ) وابنه المكتفي بالله (289 – 295 هـ) ثم تجلى دورها في عهد ابنها الخليفة المقتدر بالله (295 – 320 هـ) الذي تولى الخلافة وهو لم يتجاوز الثالثة عشر من العمر ، ولكونه صغير السن، ضعيف الإدارة، ظهرت شخصية السيدة أمه على المسرح السياسي بمظهر صاحبة النفوذ والسلطة والقوة، فأخذت تتدخل في شؤون الخلافة كبيرها وصغيرها (35)، حتى أطلق على عصر الخليفة المقتدر (عصر المرأة السياسي) (36). وقد وصف المؤرخ الفخري دولة المقتدر بأنها " دولة تدور أمورها على تدبير النساء والخدم ؟ (37) " كما لقبت شغب بسبب زيادة نفوذها بلقب " السيدة " (38). وذكر الشاشتي في الديارات " أن السيدة أم المقتدر " كانت ذات نفوذ وذكاء عظيمين ، ويد طولى في التصرف بأمور المملكة لضعف ابنها " (39) . وبالإضافة إلى السيدة أمه، سيطرت برفقتها نساء أخريات على شؤون الدولة مثل القهرمانة أم موسى وخالته وأيضا خافق وستنبويه أم ولد المعتضد (40)، ويؤكد السيوطي " أن الأمر أصبح لحرم الخليفة ولنسائه

(35) جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، تح: محمد محي الدين عبد الحميد ، ط4، ص303 القاهرة : ابن الجوزي ، المنتظم ، ج6، ص75.

(36) حتاملة ، المعتمد ، ص83.

(37) مليحة رحمة الله ، دور المرأة ، ص759.

(38) الطبري ، تاريخ ، ج11، ص28: التنوخي ، نشوار، ج1، ص242: ابن مسكويه ، تجارب، ط1، ص40: مليحة، دور المرأة ، ص759

(39) أبو الحسن علي بن محمد الشاشتي، الديارات ، تح كوركيس عواد، مطبعة المعارف، بغداد، 1951، 1966، ص122

(40) التنوخي، نشوار، ج1، ص242 – 243، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، العبر في خبر من غبر، تح :أبي هاجر محمد السعيد بن بسيوني، ط1، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ، 1985: ابن مسكويه، تجارب ، ط1 ، ص90

لركاكته "(41). وقد عرف عن المقتدر شدة احترامه لأمه واستماعه إليها ، فعندما تدخل اليه ويراه " يقوم إليها ويعانقها ، ويقبل رأسها ، ويجلسها معه على دستانه "(42). دورها السياسي :-

الخلافة والجيش: تولى المقتدر بالله الخلافة وهو صغير السن (295 – 320 هـ) إلا أن وزيره العباس بن الحسن خلعه ، وعين مكانه عبد الله بن المعز بالله ، فاستعملت السيدة أم المقتدر أموالها واستطاعت بعدها إعادة ابنها المقتدر بالله للخلافة عام 296 هـ . وحجى على ابن المعز حتى مات (43). وفي المجال العسكري برز دور السيدة شغب في إشعال الفتنة بين ابنها المقتدر بالله وقائد الجيش مؤنس المظفر ، وعرف عن القائد مؤنس إخلاصه للسيدة أم الخليفة المقتدر بالله ، إلا أن السيدة حاولت الفتك به سنة 316 هـ ، عن طريق جماعة وضعتها لهذا الغرض ، فأستوحش المظفر واحترس " وطلب من الخليفة أن يسمح له يترك بغداد والتوجه للثغور ، فأذن له الخليفة " وتغير قلبه تجاه الخليفة " (44) وكانت السيدة تهدف من وراء قتل مؤنس تعيين أخيها هارون " غريب الخال " في منصب إمرة الأمراء (45). مما أثار الجند الذين " أنكروا على الخليفة استيلاء النساء والخدم على أمور الدولة وأخذهم الأموال الكثيرة ، فطالبوا بإخراجهم من الدار " (46) واتفقوا مع مؤنس المظفر على خلع الخليفة المقتدر بالله من الخلافة بالقاهر بالله (سنة 316 هـ) وألقى القبض على أم المقتدر وحاشيتها " ونهبت أموالها وصودرت ، وحملت إلى دار الخليفة بالله (47) ولكنها بنفوذها تمكنت من إعادة المقتدر بالله للخلافة فوراً ، وسجن عندها الخليفة المخلوع (القاهر بالله) وأجمعت الروايات على المعاملة الحسنة التي عاملت بها القاهر بالله " حيث أكرمه ووسعت النفقة عليه ، واشترت له السراري

(41) الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام 301 – 320 هـ ، تح د . عمر عبد السلام تدمري،

ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1992م ، ص 39

(42) ابن الجوزي ، المنتظم، ج1، ص 75.

(43) السيوطي، تاريخ ، ص 303/304 .

(44) المصدر نفسه ، ص 307 ، 155.

(45) المصدر نفسه ، ص 307.

(46) الذهبي ، العو ، ج2، ص 8، د. ضيف الله الزهراني، العجز في الدولة العباسية ، (247 هـ - 320

هـ) مجلة أم القرى ، عدد 2 ، السنة الأولى ، 1989م ، ص 203.

(47) ابن الجوزي، المنتظم ج1، ص 166، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري ، نهاية الارب

في فنون الأدب ، تح: د. كمال زكي، الهيئة المصرية ، 1980م ، ج 23، ص 84.

والجواري للخدمة وبالغت في الإكرام والإحسان إليه بكل طريقة (48). ورغم قيامها بإذكاء العداء بين القائد مؤنس وابنها المقتدر بالله إلا أنها رفضت دعم ابنها بالأموال عندما طلب منها ذلك إلا بمبلغ يسير حيث يذكر ابن مسكويه أن المقتدر بالله قال لأمه عندما وقعت الحرب بينه وبين مؤنس (قد ترين ما وقعت فيه وليس معي دينار ولا درهم ولا بد من مال يكون معي فأعينني بما معك فقالت له أخذت مني يوم سار القرمطي إلى بغداد ثلاثة آلاف دينار وما بقيت لي بعدها ذخيرة إلا ما ترى وأحضرتة خمسين ألف دينار فقال المقتدر وأي شيء تغني عني هذه الدنانير وأي مقام تقوم لي ولعلي اقتل فاستريح ولكن الشأن فيمن يبقى بعدي ويقبض عليها ويعذب ويعلق في هذه الشجرة) وقتل المقتدر بالله سنة 320هـ من قبل جند مؤنس المظفر وحزنت أمه عليه حزنا شديدا (49) ويذكر النويري أن الجند عندما طالبت الخليفة المقتدر بالله بالأموال قال لهم " لم يبقى لي ولا لوالدتي شيء " (50) وينفرد برواية أخرى أن أمه كانت تخفي عنه ما يدور في انحاء الدولة من أحداث خطيرة خوفا عليه ويقول النويري "إنه مات في عهد المقتدر خمسة عشر ألف أمير فكانت والدته تطوي عنه الرزايا والفجائع وتقول: إظهارها يؤلم قلبه فأدى ذلك إلى انتشار الفساد في ممالكه" (51)

وبمقتل الخليفة المقتدر تخلص خواص مؤنس المظفر من نفوذ النساء ورفضوا تعيين أحد من أبناء المقتدر بالله للخلافة خوفا من سيطرة النساء وقد حاول مؤنس تقليد أبا إسماعيل أحمد بن المقتدر بالله بالخلافة مبررا ذلك بأنه قام بتربيته ويمتدحه بأنه صبي عاقل وفيه دين وكرم ووفاء فإذا جلس للخلافة سمحت نفس جدته والدة المقتدر وإخوته وغلمان أبيه ببذل الأموال إلا أن خواصه رفضوا ذلك بل عدوا هذه المرحلة تخلصا من سيطرة النساء في القصر سواء أم الخليفة أو الخالة، وارتأوا الأفضل تعيين رجل كامل يدبر نفسه ويدبر أمر الدولة، لذلك تم تقليد محمد بن المعتضد بالله الخلافة ولقبوه القاهر بالله سنة 320هـ وقبض على أم المقتدر وصدورت أملاكها وعذبت حتى ماتت 52.

⁴⁸ (السيوطي، ، تاريخ ، ص 307؛ محمد ابراهيم الكوفي ، نساء فاضلات ، دار النصر، ص 137،

كريم عاصي، نساء العرب، ط1، دار الفكر اللبناني ، بيروت ، 1991م ، ص 71 – 72.

⁴⁹ (ابن مسكويه ، تجارب، ج1 ص166، 179؛ السيوطي ، تاريخ، ص356؛ علم الدين، الزمن العباسي،

دار النهضة العربية، بيروت، لبنان ، 1993 ص95

⁵⁰ (النويري ، نهاية الارب ج 23 ص 99

(النويري ، نهاية الارب ج 23 ص102 ⁵¹

⁵² (النويري ، نهاية الارب، ج 23 ص105؛ كريم عاصي ، نساء العرب ص71-72؛ احمد سويد ، نساء

شعيرات من تاريخنا ، مؤسسة المعارف بيروت 1990 ص 203-204

الوزارة: تدخلت السيدة أم الخليفة المقتدر بالله مباشرة في شؤون الوزارة، حيث ساهمت في تعيين وزراء يأترون بإمرها ويحققون مصالحها ومصالح ابنها ، وتعزل الوزراء إذا وجدت أنهم مخالفين لتحقيق رغباتها السياسية والمالية، أو معادين لسياسة ابنها المقتدر بالله (53) وتقلد منصب الوزارة طيلة عهد المقتدر (295 – 320 هـ) حوالي تسعة وعشرون وزيراً فقد أمرت السيدة بتعيين ابن الفرات وزيراً لابنها المقتدر (296 – 299 هـ) وقد تقلد هذا المنصب ثلاث مرات ولكن صودرت أمواله في كل مرة يعزل فيها وتعرض أخيراً للقتل مع ابنه المحسن (54). وظهر نفوذ السيدة أم المقتدر بالله وغيرها من نساء القصر في وزارة ابن الفرات فقد أورد الصابي العديد من المخاطبات الموجهة من قبل ابن الفرات إلى السيدة أم المقتدر بالله وخطاباً إلى الخالة قائلاً (أطال الله بقاء الخالة) والدعاء لها عدة سطور، وأيضاً خاطب القهرمانات ثمل وزيدان بالقول: أطال الله بقاءك والعنوان ثمل والزيدان من أبي الحسن، ثم زاد زيدان خاصة أيا أختي (55). وهذه المخاطبات تدل على تنفيذ النساء وقيامهن بتدبير أمور الخلافة والوزارة. وفي الوزارة الثانية لابن الفرات سنة 304 هـ أقر للسيدة مبلغ 2500 دينار "ونصب لها ديواناً للمرافق واستوفاه من العمال والمتصرفين كالمستوفي الحقوق" (56). وكانت تطلق أم موسى القهرمانة للتجسس عليه، فعزلته وحبسته ثم صادرت ماله ودور أهله (57).

كما استوزرت السيدة أبي علي محمد بن عبيد الله بن خاقان (299 – 301 هـ) وضمن لها مائة ألف دينار، كما ضمن لأُم ولد المعتضد (دستنبويه) مائة ألف دينار (58). ثم أمرت بعزله وتعيين علي بن عيسى مكانه وكان هذا عاملاً على مكة، اشتهر بالعدل والصلاح واتصف بالنزاهة والتدين ، وقد غضب هذا الوزير من تدخل السيدة والقهرمانات في شؤون الخلافة والوزارة ، وطلب من الخليفة المقتدر إعفائه من الوزارة ، وبعث أيضاً بشأن ذلك رسالة إلى السيدة أم المقتدر بعد البسملة يقول في

(53) الذهبي ، تاريخ ، ص 397 ؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ج3، ص 324؛ السيوطي، تاريخ، ص 384

(54) المسعودي، مروج الذهب ج4، ص 305 .

(55) الصابي، أبو الحسن الهلال بن الحسن، الوزراء أو تحفة الأُمراء في تاريخ الوزراء ، تج: عبد الستار أحمد فراج ، دار إحياء الكتب العربية ، 1958م ، ص 173 – 343.

(56) ابن مسكويه، تجارب، ط1، ص 42؛ الصابي ، الوزراء، ص 37.

(57) الصابي، الوزراء ، ص 295 – 296؛ ابن الجوزي ، المنتظم ، ج1، ص 109؛ مليحة ، دور النساء، ص 762.

(58) الصابي ، الوزراء ، ص 287 – 288.

رسالته : "أطال الله بقاء السيدة وأدام عزها وتأييدها وكلاءها وحراستها، وأسبع نعمة عليها ، وزاد في إحسانه إليها"(59). لكن الخليفة رفض الموافقة على عزل وزيره على بن عيسى (312 – 321 هـ) إلا أن تدخل النساء " السيدة القهرمانه أم موسى " وحثن الخليفة على عزله، أدى إلى موافقة الخليفة على ذلك، ثم أمرت السيدة بمصادرة أمواله وحبسه عند زيدان القهرمانه سنة 316 هـ (60). كما أنها قلدت أحمد الخصيب الوزارة ، ولكنها أمرت بحبس ومصادرة أمواله (61)، وكانت تأمر بمصادرة أموال وحبس كل وزير أو كاتب يخالف أمرها ، كما فعلت مع كاتبها محمد بن عبد الحميد (سنة 307 هـ) الذي رفض منصب الوزارة ، فأمرت بمصادرة مبلغ مائة ألف دينار بعد وفاته (62). وكانت تبرز التواقيع وعليها خطها ، وتوجه إليها رسائل رسمية من قبل الوزراء والكتاب (63). كما أنها إذا رغبت في تقليد الوزارة لشخص مهم، تأمر بإرسال الهدايا والأموال والخلع إليه ، كما فعلت مع الوزير ابن الفرات في وزارته الثانية (302 هـ) حيث أرسلت إليه مع شفيع المقتدري الدواب، والغلمان وخلعتين وصينية فيها طيب، وقطرميز شراب وأوساط ، وتاج مرصع بالجواهر وعشرة آلاف دينار. وسفط عنبر وند وكافور وصينية ذهب"(64). إلا أنها حذرت الخليفة ابنها منه في الوزارة الثالثة (لابن الفرات 312 هـ) حيث قالت له: " قد أبعد ابن الفرات مؤنس وهو سيفك، ويريد أن ينكب نصرا وهو حاجبك، ليتمكن من مجازاتك على ما فعلته من إزالة نعمته وهتك حريمه فيا ليت شعري أن يكون عوننا عليه مع ما قد ظهر من شره وشر ابنه الحسن وأخذهما الأموال وقتلها النفوس "(65). وأدى هذا القول إلى إيقاف بطلان قول ابن الفرات وابنه . (66) ومن مظاهر دورها وتنفيذها أيضا إصدارها

59) مسكويه، تجارب ، ج1، ص 40 – 42، الصابي، الوزراء ، ص 310، وأنظر نص الرسالة الملحق، ص 308-312.

60) مسكويه، تجارب، ط1، ص 42 ، ص 202؛ مليحة ، دور المرأة ، ص 762.

61) أحمد سويد، نساء شهيرات ، ص 202؛ مليحة ، دور المرأة ، ص 762.

(الشابيشي، الديارات ، ص 122؛ الصابي، الوزراء ، ص 308-309؛ مليحة ، دور المرأة ، ص 762⁶²).

63) الصابي ، الوزراء ، ص 308، 309، 343؛ مؤلف مجهول ، العيون والحدائق في أخبار الحقائق

(أربعة أجزاء) تحقيق عمر السعيد، دمشق ، 1973م، (ج4ق2)، ص 183 – 184

64) مجهول ، العيون ، ج4، ق2، ص 183 – 184 .

65) الصابي، الوزراء، ص 54.

66) الصابي ، الوزراء ، ص 343.

قراراً بالقبض على دستنبيه أم ولد المعتضد وحبسها (67). ويذكر صاحب العيون والحدائق بشأن القبض على أم ولد المعتضد " لم يكن في دار الخلافة أجل منها، ولا أكرم ولا أنصف في معاملة تعطي التجار الأرباح الواسعة، وكان لها عند الخليفة المقتدر بالله محل عظيم" لكن فسد أمرها عند أم المقتدروتم القبض عليها (68).

السيدة ام المقتلو بالله والكتاب : اتخذت السيدة أم المقتدر بالله كتاباً لها لإدارة شؤونها وضياعها وكان أحمد بن العباس بن الحسن أول كاتب لها ، حيث ولته ديوانها الخاص بها(69).تم استكتبت لها أبا الحسن أحمد بن محمد بن عبد الحميد ، ولحسن أدائه ، إمرته أن يكون وزيراً ، فرفض الوزارة ، بعد وفاته أمرت بمصادرة مائة ألف دينار له سنة 307 (70)، واتخذت من أبي علي بن مقله كاتباً لها سنة (304 هـ) (71)واستكتبت أحمد بن عبد الله الخصيب سنة (314 هـ) وقد ضبط جميع أمورها، إلا أنه كان مهتماً بالوزارة، فأمرت السيدة قهرمانتها ثمل باتخاذ كاتباً آخر لها وقد أورد الطبري " أن السيدة قالت للقهرمانه " ارتادي لي كاتباً ليقوم مكانه ويحل محله، فاتخذت لها عبد الرحمن بن سهل ، فتولى أمورها " (72)، وقد امتاز هذا الكاتب الأخو بالكفاءة، فندم ابن الخصيب على تركه الكتابة عند أم المقتلو بالله. واهتمت السيدة ام المقتدر بالله بتنظيم أمورها المالية وإدارة شؤونها حيث أنشأت لها ديواناً خاصاً يقوم الكاتب بإدارة أمور ضياعها وحشمها، إذ اتخذت من أبي يوسف كاتباً لها (73)، ثم جعلت لنفسها قهرمانه تقوم بتنفيذ مطالبها وكذلك متعاون معها(74).

السيدة أم المقتدر بالله والقضاء : تدخلت أم المقتو بالله في شؤون القضاء ، وقد أجمعت المصادر على أنها أمرت سنة 306هـ قهرمانتها (ثمل) أن تجلس بالرصافة للنظر في المظالم ، وتنظر في كتب الناس في كل يوم جمعة فاستنكر الناس هذا الأمر وكثر عيهم والطعن فيه ، وقد أحضرت معها في أحد الأيام

(67) مجهول، العيون ، ج4، ق2، ص 170.

(68) المصدر نفسه ، ج4، ق2، ص 170.

(69) مليحة ، دور المرأة ، ص 716.

(70) الطبري، تاريخ ، ط11، ص 74؛ الصابي ، الوزراء ، ص 111؛ التنوخي، نشوار، ط1، ص 242 –

(71) الزهراني، ضيف الله ، العجز في الدولة العباسية (247 – 320 هـ) مقالة في مجلة أم القرى ، عدد

(2) ، السنة الأولى ، 1989م.ص 223.

(72) الطبري ، تاريخ ، ط11، ص 111.

(73) ابن مسكويه ، تجارب ، ص 164.

(74) مليحة ، دور المرأة ، ص 761.

القاضي الحسين ابن الأشناني ليساعدها في إتمام أمرها ، فحسن أمرها وأصلح عليها، وخرجت التوقيعات على سداد"(75).

وكان يحضر مجلسها الفقهاء والقضاء ، وقد انفرد ابن تغرى بردى برواية " أن التي كانت تجلس للنظر في المظالم هي أم موسى القهرمانه" (76). كما أجبرت السيدة القاضي ابن بهلول على التلاعب والتزييف في أراضي الوقف ، ويذكر التنوخي "إن السيدة أرسلت قهرماناتها أم موسى إلى القاضي ابن بهلول ، من أجل ضمان موافقته على أبطال الوقف في ضيعة ابتاعها، فرفض القاضي ذلك قائلاً: - " أنا خازن المسلمين على ديوان الحكم ، فأما مكنتموني من خزنه كما يجب ، وإلا فاصرفوني وتسلموا الديوان دفعة ، وأعملوا به ما شئتم ، وخذوا منه ما أردتم ودعوا ما اردتم ، أما أن يفعل منه شيء على يدي فوالله ما كان هذا ولو عرفت على السيف(77)".

دورها الإداري والمالي: ازداد نفوذ السيدة أم المقتدر بالله وتدخلها في الأمور المالية حيث يذكر الطبري "أشرفت السيدة على خزينة الدولة ، وعرفت بمتابعتها لها (78).وقد أصبحت الثروة في عهد المقتدر بالله في يد النساء والخدم والحشم وقدر عددهم بإحدى عشر ألف رجل وامرأة 79، وكان راتب السيدة اليومي يصل إلى 333 و ½ دينار بينما القهرمانه تتقاضى راتباً يصل إلى خمسة آلاف دينار شهرياً، وقد استنكر قادة الجند تصرفات أم الخليفة وقهرماناتها و"استبدادهن بالأموال دونهم" (80)، كما استاء الوزير علي بن عيسى من تدخل النساء السافو في شؤون الخلافة والأمور المالية حتى طلب الإعفاء من هذا المنصب(81).

⁷⁵ (الطبري ، تاريخ ، ط11، ص 67، النويري ، نهايةالازب ، ج23، ص 54، السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص 306، الحنبلي ، أبو الفلاح عبد الحي ابن العمار ، شذرات الذهب في اخبار من ذهب ، دار أحياء

التراث العربي، بيروت ، ط1 ، ص 247

⁷⁶ (ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ط3، ص 216 – 217.

⁷⁷ (التنوخي، نشوار، ط1، ص242 244؛ مليحة ، دور المرأة ، ص 780.

⁷⁸ (الطبري ، تاريخ ، ط11، ص 113.

⁷⁹ (مسكويه ، تجارب ، ط1، ص 42؛ حمادة، محمد ماهر ، الوثائق السياسية والإدارية العائدة

للعصور العباسية ، (المتابعة 247 – 656 هـ ، دراسة ونصوص ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ،

1985م ، ص 221 ، شوقي ضيق ، العصر العباسي ، ص 84.

⁸⁰ (الزهراني، العجز ، ص 203 – 223.

⁸¹ (ابن مسكويه ، تجارب ، ط1، ص 189 – 192؛ الصابي ، الوزراء ، ص 94.

وتذكر المصادر التاريخية " أن دخل السيدة من أملاكها في كل سنة ألف ألف دينار " وكانت تنفق أكثر من ذلك في أوجه الخير على خدمات الحجيج توفير الشراب والطعام ومرافقة الأطباء لقوافل الحجاج ، كما كانت تسهل الطرقات والموارد، وكانت في غاية الحشمة والرياسة . وعندما أمر الخليفة القاهر بالله بمصادرة أملاكها" ذكرت انها أوقفها على المساكين والفقراء في مكة والمدينة المنورة"(82). وقد ذكرت سابقا أن الوزير أبي علي محمد بن عبيد الله بن خاقان ضمن لها مائة ألف دينار(83). وابن الفرات ضمن لها 2500 دينار كل شهر، وكان لها الضياع والنواوين الخاصة بها ، والكتاب المشرفين على إدارتها ، وتقلد أمر ضياعها جعفر بن قديده (84). ومتيم الجوهري في واسط(85)، وكانت أقطاعها في الأراضي الخصبة من العراق (رودستان ، هرف جرد)*(86) كما جمعت السيدة أم المقتدر الثروة العظيمة من النقد والمجوهرات والرياش والملابس ، وقد استعملت طرق عديدة لجمع الأموال قبل السيطرة على أراضي الوقف ، ومصادرة وزرائها وكتائبها وقادتها(87)، ولضمان الأموال لها بالرشوة من قبل الوزراء كاتبت ابن الفرات وبسبب اتساع ثروتها أصبحت موضع اعتماد الدولة ، حيث ساهمت في تغطية نفقات حرب القرامطة ، كما ساهمت بمبلغ خمسين ألف دينار قدمتها لابنها المقتدر بالله لسد حاجاته المالية في حربه مع القائد مؤنس المظفر(88).وقد تعرضت أموالها للنهب سنة 316هـ ، عندما خلع ابنها الخليفة المقتدر بالله للمرة الثانية ، حيث نهب لها مبلغ ستمائة ألف دينار ونقلت للخليفة القاهر بالله(89).

- (83) ابن الاثير، عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن أحمد بن عبد الكريم بن صادر، بيروت ، 1979م ، ط7، ص 75 – 76؛ التنوخي ، الواحد ، الكامل في التاريخ ، دار نشوار ، ط1، ص 242؛ ابن الجوزي ، المنتظم ، ط6، ص 253؛ ابن كثير، البداية والنهاية ، ط11، ص 187.
- (83) الصابي ، الوزراء ، ص 97؛ ابن الجوزي ، المنتظم ، ط6، ص 233.
- (84) التنوخي ، نشوار، ج1، ص 242 – 244.
- (85) الصابي، الوزراء ، ص 38.
- (86) تقع الأولى في كور الكوفة ، والثانية بين واسط والكوفة ، مقتبس من التنوخي ، نشوار، ج1، ص 242، الحاشية
- (87) التنوخي ، نشوار، ج1، ص 128؛ ابن الجوزي ، المنتظم ، ج6، ص 233.
- (88) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج6، ص 222.
- (89) التنوخي ، نشوار ، ج1، ص 77 – 79 ؛ مجهول العيون ، ج4، ص 262 – 263 ؛ ابن الجوزي ، المنتظم ، ج6، ص 222؛ النويري ، نهاية الارب ، ج23، ص 84.

هباتها : امتلكت السيدة أم المقتدر الأملاك الواسعة ، وقد وصلت ثروتها إلى مليون دينار سنويا ، وكانت تنفق من هذه الأموال بشكل هبات تقدمها إلى خواصها وكبار الشخصيات حتى أن ابن الخصيب ندم على تركه الكتابة عندها والوزارة عند ابنها المقتدر بسبب كرم السيدة وهباتها المستمرة. وقد قدمت لابن الوزير الهدايا العديدة من الذهب والنقد والجواهر(90)، وكذلك هبتها لبنات أخيها هارون بن غريب الخال ، حيث أرسلت إليهن هدية كبيرة من الذهب والفضة ومائة ألف دينار مع قهرمانتها أم موسى الهاشمية (91). كما أنفقت جزءاً من أموالها على عائلات من القرامطة دخلت بغداد ووهبت كل امرأة منهن نفقة ، وتذكر المصادر أن عدد القرامطة بلغ 400 نفر من النساء والأولاد البنات (92).

وساهمت السيدة في مشاريع عمرانية وخدمات اجتماعية ، حيث أوت ببناء مارستان السيدة سنة 306 هـ وهو مستشفى خاص بالنساء بني في سوق يحيى بالرصافة*(93)، أشوف عليه الطبيب سنان بن ثابت، وبلغت نفقات المستشفى في الشهر ستمائة دينار، وسنويا ما بين ستة آلاف إلى سبعة آلاف، كما بذلت السيدة أموال كثيرة لرعاية مصالح الحجاج ، وقد أوقفت جزءاً كبيراً من مالها الخاص على المساكين والفقراء في مكة والمدينة المنورة(94)و تصدقت في جنازة عبيد الله بن طاهر سنة 300 هـ ، بمبلغ ألف دينار وألف درهم ، وقامت بجميع أمور ولده وحرمة (95).

تبذيرها وإسرافها : امتاز عصر النفوذ التركي بالفوضى المالية خاصة في عهد الخليفة المقتدر بالله رغم الإصلاحات الجادة لبعض الوزراء ، وكانت ترد الأموال لبيت المال وتبقى أيام دون أن تفض 96. وكانت نفقات الخلفاء والحاشية تنفق من بيت المال وقد خصص للخليفة المقتدر بالله راتباً يصل يومياً إلى 1000 دينار(97). وقد اقترن عهد المقتدر بالتبذير والإسراف المفرطين ، فتذكر بعض المصادر عندما

(90) الطبري، تاريخ ، ج11، ص 111.

(91) المصدر نفسه ، ج11، ص 73؛ مجهول ، العيون ، ج4، ص 183 – 184.

(92) مجهول ، العيون ، ج4، ص 153.

(93) يقع على شاطئ دجلة في المكان قرب الأعظمية ، أحمد سويد ، نساء شهيرات ص 205.

(94) ابن أبي أصيبعة ، عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، دار الثقافة ، بيروت – لبنان ، ج2، ص 204؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج3، ص 216 – 217؛ السيوطي ، تاريخ ، ص 282 ، 305؛ أحمد سويد ، نساء شهيرات، ص 205.

(95) التنوخي، نشوار، ج1، ص 242؛ الشابشتي، الديارات ، ص 122 ؛ ابن الجوزي ، المنتظم ، ج6، ص 222-223 ابن الأثير ، الكامل ، ج7، ص 75 – 76؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج11، ص 187.

(96) الشابشتي ، الديارات ، ص 122.

(97) الصابي ، الوزراء ، ص 284 ؛ الزهراني ، العجز ، ص 221.

توفي الخليفة المكتفي بالله (289-295هـ) كان في بيت المال (الخاصة) مبلغ أربعة عشر مليون ، وفي بيت مال العامة مبلغ يزيد عن ستمائة ألف دينار (98). ودخل إلى خزنة المقتدر بالله أثناء فترة خلافته التي استمرت خمس وعشرون سنة مبلغ تسعة وثمانون ألف دينار أنفقت منها قانونيا حوالي بضعة عشر ألف دينار، أما المتبقي ويزيد عن سبعين ألف دينار كلها أتلقت " (99) وقام المقتدر بالله بتوزيع جزء كبير من هذه الأموال على النساء والمحظيات، فقد أهدى إحدى محظياته جوهرة الدرة اليتيمة وتزن ثلاثة مثاقيل ، وكذلك أعطى ثمل القهرمانه سبعة جواهر، مما دفع السيدة أم المقتنو لأن تتهمها بالسرقة ، وبسبب التبذير بالأموال أمرت السيدة ام المقتدر الوزير علي بن عيسى بضبط الأمور المالية لصالح خزينة بيت المال (100). ويقول ابن كثير " قام بتوزيعها في حظاياها وأصحابه حتى أنفذهما وهذا حال الصبيان وسفهاء الولادة " ، وهذا يبين لنا مدى ركافة وضعف وسوء تدبير أمور الدولة المختلفة وخاصة المالية ، وقد بلغ العجز المالي في عهده حوالي (2,089,894 دينار) (101)، ويتضح من ذلك أثر النساء في تبذير الثروة وتوزيعها بشكل غير منظم على النساء والخدم والحشم وقد بلغ عددهم في عهد المقتدر حوالي أحد عشر ألفا امرأة وخادم (102) ، حيث وقع الخليفة المقتدر تحت تأثير أمه السيدة والقهرمانات (103) وقد أورد التنوخي العديد من المواقف التي تبين وجوه هذا الإنفاق بشكل عديم النفع والفائدة وبالوقت الذي لا يمتلك فيه الجند الأرزاق (104) يقول التنوخي " أن السيدة كان يضع لها نعالا مبطنه بالمسك والعنبر والطيب، وكانت لا تلبس النعل من هذا المتاع إلا عشرة أيام حتى تخلف وتتفتت وتذهب جملة دنانير في ثمنها فيأخذها الخزان فيستخرجون من ذلك العنبر والمسك ويأخذونه (105). كما يذكر " أن السيدة أنفقت أموالا كثيرة على قماش من القطن المبطن بالمسك والطيب، استعملتها في الاحتفال بعيد النيروز " (106). وانفرد التنوخي أيضا برواية تبين

(⁹⁸) الصابي ، الوزراء ، ص 317؛ الزهراني ، العجز ، ص 221.

(⁹⁹) ابن مسكويه ، تجارب ، ج1، ص 31؛ حمادة ، الوثائق ، ص 44-45.

(¹⁰⁰) ابن مسكويه ، تجارب ، ج1، ص 31؛ ابن الجوزي ، المنتظم ، ج6، ص 222؛ ابن تغري بردي ،

النجوم الزاهرة ، ج3 ، ص 243، السيوطي ، تاريخ ، ص 384.

(¹⁰¹) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج11، ص 105.

(¹⁰²) الزهراني ، العجز ، ص 221.

(¹⁰³) الصابي ، الوزراء ، ص 8.

(¹⁰⁴) ابن الأثير ، الكامل ، ج6، ص 163، ج7، ص 35 – 76

(¹⁰⁵) التنوخي ، نشوار ، ج1، ص 293 – 294؛ ابن الجوزي ، المنتظم ، ج6، ص 109.

(¹⁰⁶) التنوخي ، نشوار ، ج1، ص 293.

مدى تبذير السيدة أم المقتدر فيقول: - أخبرني أبي علي أن تلك الغوالي كلها ، وما كان في الخزائن من المسوك والعنابر استعمل كله في الوحل الذي كانت السيدة عملته " وخبر الوحل مستفيض على السنة العوام والذي عملته السيدة أنها أرادت أن تحاكي نساء العامة اللائي يملأن جراهن من شاطئ النهر ، فأمرت أن يتخذ لها مثل شكل الشاطئ ، وأن يملأ الغالية والعنبر وأنواع الطيب ليكون شبيها بالطين ، وأنها وجواربها مشين حافيات على هذا الطين ، وملأن جراهن " (107).

نكبة السيدة أم المقتدر بالله : بعد مقتل الخليفة المقتدر بالله سنة 320 هـ آلت الخلافة إلى القاهرة بالله (320 هـ) وقد اقتصر من آل المقتدر ، فصادر أموالهم (108). وألقى القبض على أولاد المقتدر وحرمه. أما السيدة أم المقتدر فكانت في هذه الفترة مريضة وقد زادت علتها عندما علمت بمقتل ابنها المقتدر بالله من قبل جند القائد مؤنس المظفر ، ودفنه من قبل العامة ، فامتنعت عن الطعام والشراب ، وكادت أن تموت لولا الوعظ لها بأكل القليل من الطعام (109).

أما موقف الخليفة القاهرة بالله من السيدة أم المقتدر ، فقد أمر بالقبض عليها ، واتبع معها في البداية أسلوب الترغيب لتعترف بما لديها من أموال ، إلا إنها لم تعترف بشيء من الجوهر ، فضربها القاهرة مائة مقرة ، وعلقها برجلها ورأسها منكوس (110). إلا أنها حلفت بأنها لا تملك غير ما أطلعته عليه " وقالت: لو كان عندي مال لما أسلمت ولدي للقتل، ولم تعترف بشيء " (111). لكن القاهرة بالله صمم على أخذ مالها فأخرجها لتشهد على نفسها القضاة والعدول بأنها حلت أوقافها، ووكلت في بيعها ، إلا أن السيدة امتنعت عن ذلك وقالت : " قد أوقفها على أبواب الخير والقرب في مكة والمدينة والثغور وعلى الضعفاء والمساكين ولا أستحل بيعها وحلها، وإنما أؤكل على بيع أملاكي القاضي علي بن العباس النوبختي " (112)، ووافق الخليفة القاهرة على ذلك و " أحضر القاضي والعدول وأشهدهم على

(¹⁰⁷) النوحي ، نشوار ج 1 ، ص 292.

(¹⁰⁸) الذهبي ، تاريخ ، ص 399؛ السيوطي ، تاريخ ، ص 309.

(¹⁰⁹) الطبري، تاريخ ، ج 11، ص 274؛ مسكويه، تجارب ، ج 1، ص 243؛ ابن الجوزي، المنتظم ، ج 6، ص 253.

(111) الطبري، تاريخ ، ج 11، ص 274؛ ابن مسكويه ، تجارب ، ج 1، ص 244؛ ابن الجوزي، المنتظم ، ج 6، ص 253

(112) ابن مسكويه ، تجارب ، ج 1، ص 243؛ ابن الجوزي، المنتظم ، ج 6، ص 253؛

مجهول، العيون، ج 4، ق 2، ص 262؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج 1، ص 187.

(¹¹²) مجهول ، العيون ، ج 4 ق 2، ص 262 – 263 ؛ النوحي ، نشوار ، ج 1، ص 77 – 79.

نفسه أنه قد حل وقوفها جميعا ووكل في بيعها ذلك جميعه مع غيره " (113). وقد حددت قيمة أموالها من حلي ومصاغ وثياب فاخرة بمائة ألف دينار وثلاثون ألف درهم، وقيمة التماثيل التي عندها ثلاثمائة ألف درهم، وقد نصب لأملاتها ديوان يسمى ب (المقبوضات) تقلده الفضل بين جعفر وزير الخليفة المقتدر بالله السابق (114). وقد أرسل هذه الأموال إلى القائد مؤنس المظفر لتصرف في مال البيعة، واشترى أصحاب مؤنس من أملاك السيدة ما قيمته خمسمائة ألف دينار، كما اشترى الجند من هذه الأملاك واعتبرت من ضمن أرزاقهم (115). وفي سنة 321هـ اشتد المرض على أم المقتدر، فأكرمها الأمير الحاجب علي بن يلبق، وطلب من القاهر تسليمه كل مصاو لوالدة المقتدر من (فرش وأمتعه) فوافق القاهر فباعه ابن يلبق، ومكثت أم المقتدر عند والدته علي بن يلبق مدة عشرة أيام وتوفيت في نفس العام (321 هـ) ودفنت بالرصافة (116).

المبحث الثالث: دور القهرمانات السياسي والاداري في عصر الخلفاء - المقتدر بالله - المتقي بالله - المستنفي بالله.

ورد في لسان العرب أن "قهرمان" كلمة فارسية وتعني المسيطر الحفيظ على من تحت يديه، ويقول ابن بري: القهرمان من أمناء الملك وخاصته، وهو كالحازن والوكيل والحافظ لما تحت يديه والقائم بأمر الرجل بلغة الفرس (117). وأصل عمل القهرمانة في بلاط الخليفة أن تؤدي الرسائل عن الخليفة إلى الوزير، ولكن ضعف الخلفاء واحتجابهم في قصورهم أدى إلى سيطرة القهرمانة، وكان للخليفة المكتفي بالله (289 - 295 هـ) داية أسماها فارس نصمها قهرمانة عندما تولى الخلافة، وكانت تتدخل في تعيين وعزل الوزراء. وفي عهد الخليفة المقتدر بالله "وهي دولة السيدة أمه" أصبح للقهرمانة سيطرة تامة على أمور الدولة، بحكم صلتها بالخليفة والسيدة، فكانت القهرمانة تتدخل في ترشيح الوزراء وكبار العمال وعزلهم واعتقالهم، وقد تحضر القهرمانة عقوبة الوزير المعزول أو يعهد إليها الخليفة بتعذيب من يريد تعذيبه أو يعتقل لديها من يريد اعتقاله، ومن شهيرات القهرمانات في الدولة

⁽¹¹³⁾ الطبري، تاريخ ج 11، ص 274: ابن مسكويه، تجارب، ج 1، ص 244: التنوخي، نشوار، ج 1، ص 76: الذهبي، تاريخ، ج 3، ص 399.

⁽¹¹⁴⁾ الطبري، تاريخ، ج 11، ص 274.

⁽¹¹⁵⁾ ابن الأثير، الكامل، ج 7، ص 75 - 76.

⁽¹¹⁶⁾ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 11، ص 188.

⁽¹¹⁷⁾ ابن منظور، لسان العرب المحيط، أعاد بناءه يوسف خياط، دار لسان العرب، بيروت، مج 3،

ص 180 يذكر التنوخي أن كلمة قهرمان يونانية وتعني مدبر البيت، وأمين الدخل والخرج، نشوار، ج 4 ص 179 - 180.

العباسية: فاطمة القهرمانة التي تعرضت للغرق تحت الجسر في بغداد سنة 298 / 299 هـ ، وأم موسى الهاشمية (298 - 327 هـ) وزيدان القهرمانة وثل القهرمانة ونظم القهرمانة وقد تنفذ في عهد الخليفة المقتدر بالله من (295 - 320 هـ) أما عهدي الخلفاء المتقي لله والمستكفي بالله فقد ظهرت فيهما القهرمانة حسن الشيرازية، وقد عرفت بنفوذها القوي ودورها البارز في عصر الخليفة المتقي لله وكذلك المستكفي بالله ، وسأتناول في هذا البحث بالتفصيل دور هؤلاء القهرمانات .

دور القهرمانات في عصر الخليفة المقتدر بالله:-

أم موسى القهرمانة 298 - 327 هـ : تسمى أم موسى الهاشمية ، عينت في هذا المركز سنة 298 هـ (118). من قبل والد الخليفة المقتدر بالله بعد غرق فاطمة القهرمانة تحت الجسر في يوم شديد الرياح ، وحضر جنازتها القواد والقضاة (119). وعرفت أم موسى بقوة شخصيتها وتنفيذها ، حتى أنها وصفت بأنها إحدى النساء الثلاث المسيطرات على أمور الدولة ، فقد أورد الذهبي: " أن أم المقتدر وخالته و القهرمانة يدخلن في الأمور الكبار والولايات والحل والعقد " (120)، أما التنوخي فيذكر " سيطر على أمور الدولة في عهد المقتدر " نسوة ثلاث هن السيدة أم المقتدر، وخالته ، وأم موسى القهرمانة " (121). ويضيف مسكويه إلى هؤلاء النساء الثلاث " دستنبويه " وهي أم ولد المعتضد " (122). وتختلف القهرمانة أم موسى الهاشمية عن بقية القهرمانات حشمة وعظمة فإذا سارت تسير في موكب عظيم والفرسان والرجال بين يديها " (123). وكانت مهمتها تأدية الرسائل بين السيدة والخليفة ، وتنقلها إلى الوزراء والكتاب والقواد والحجاب (124)، كما كانت تشرف على إدارة الأمور المالية في القصر (125). وأيضاً أشرفت على إدارة شؤون الحشم والجواري والقيان (126).

دورها السياسي والإداري:-

(¹¹⁸) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج 6، ص 253؛ مجهول ، العيون ، ج 4، ق 2، ص 102.

(¹¹⁹) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج 6، ص 253؛ مجهول ، العيون ، ج 4، ق 2 ، ص 152.

(¹²⁰) الذهبي، العبر، ج 2، ص 8.

(¹²¹) التنوخي، نشوار، ج 1، ص 242 - 243.

(¹²²) ابن مسكويه ، تجل ب ، ج 11، ص 83 ، 90.

(¹²³) الطبري، تاريخ ، ج 11، ص 67؛ ابن الأثير، الكامل ، ج 6، ص 139.

(¹²⁴) النويري، نهاية الار ب ، ج 23، ص 33.

(¹²⁵) مجهول ، العيون ، ج 4، ق 2، ص 152.

(¹²⁶) الصابي، الوزراء ، ص 38؛ مصطفى علم الدين، الزمن العباسي، ص 95.

الوزارة : استغلت أم موسى القهرمانة ، ضعف الخليفة المقتدر بالله وصغر سنه وركاكته، فازداد نفوذها حيث تقربت من أم المقتدر بالله ، ورفعت مكانتها لديها، كما ساعدها على ذلك إشرافها على الرقاع والمراسلات بين الخليفة والوزراء والكتاب فزاد من تبصرها بشؤون الخلافة . وبلغت من تنفذها رفض بعض الوزراء تدخلها السافر في أمور الخلافة ، ومنهم الوزير علي بن عيسى ، الذي طلب الاستقالة من منصبه بسبب تدخل النساء(127). وقد طلبت القهرمانة أم موسى من السيدة والخليفة المقتدر بالله عزل الوزير علي بن عيسى بسبب رفض الحاجب إدخالها عليه عندما توجهت إليه في أمر تغطية نفقات الحاشية والحرم بمناسبة عيد الأضحى سنة 304هـ فقبض على هذا الوزير واعتقل عند زيدان القهرمانة (128).

كما أخذت تتجسس على الوزراء ومنهم الوزير ابن الفرات سنة 299هـ مما أدى إلى اعتقاله ومصادرة أمواله ، وعندما رضيت عنه ، أطلق سراحه ، وشجعت السيدة الخليفة المقتدر بالله على تقليده الوزارة للمرة الثانية 304 و306هـ ثم كانت السبب في عزله لعدم تحقيقه رغباتها ومنحها مبلغ ثلاثة عشر ألف ألف دينار(129). وبشأن إشرافها على الرقاع والمراسلات ، فقد تسلمت رسالة من رئيس ديوان الضياع الخاصة " أبي محمد بن روح " يطلب فيها نقل رسالته إلى الوزير الخاقاني من أجل تسليمه سفتجه(130) تقدر بخمسمائة ألف دينار فرفض الوزير الخاقاني ذلك " فقبض عليه وكبس ببيته وصرفه عن ديوان الضياع " (131). كما ساهمت القهرمانة أم موسى في تقليد بعض العمال لولاياتهم مثل اقناعها المقتدر بالله بتعيين أبي الحسين بن أبي البقل وزيرا، فأخرجه الخليفة من السجن وتقلد الأهواز (132). وكانت تقوم بتوزيع الأعطيات على الخدم والحشم وبحضرة الوزراء

(¹²⁷) الصابي، الوزراء ، ص 308 – 310.

(¹²⁸) ابن مسكويه، تجارب، ج1، ص 40؛ الصابي، الوزراء، ص 310؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص

154؛ مجهول ، العيون ، ج4، ق2، ص 182

(¹²⁹) الصابي ، الوزراء ، ص 120 – 121 ؛ ابن الجوزي، المنتظم ، ج6، ص 138.

(130) السفتجة بضم السين وهي كلمة فارسية كما يعرفها الفقهاء هي معاملة مالية يقرض فيها شخص قرضا لآخر في بلد ليوفيه المقرض أو نائبه أو مدينه إلى المقرض نفسه أو نائبه أو دائنة في بلد آخر معين.

(¹³¹) الصابي، الوزراء ، ص 301.

(¹³²) الصابي ، الوزراء، ص 295 – 296؛ مليحة ، دور المرأة ، ص 768.

والقادة والكتاب (133). وعندما تقلد حامد بن العباس الوزارة (306 هـ) خاطبته أم موسى بشيء من الأموال فوجه إليها كلاماً قبيحاً مضت من فورها ، فعزل الوزير بعد أيام قليلة(134).
نقابة الطالبين: كانت القهرمانة أم موسى تعمل على تثبيت نفوذ أخيها أحمد بن العباس في مراكز الدولة العليا، وكان يحصل بسبب ذلك على الأموال الوفيرة وقد تنبه لذلك الوزير علي بن عيسى ، فاستدعاه ، وقال له: " قد أفنيت مال السلطان ، ترتزق في كل شهر من شهور الأهلة سبعة آلاف دينار " فصمم الوزير على إبلاغ أمره للخليفة ، فكتب رقعة بتفصيل تلك الأموال ليرفعها إلى الخليفة ، فعلمت أم موسى بالأمر، واستطاعت كف يد الوزير عن أخوها، وتمكنت من عزل الوزير علي بن عيسى نفسه (135). كما تدخلت أم موسى القهرمانة في شؤون الحج ، فكانت العادة الجارية أن لا يحج بالناس رجل إلا من طبقة الأشراف أو نقيب الطالبين فاستطاعت أن تسعى بهذه الوظيفة إلى أخيها أحمد بن العباس (136).

مصاهرتها حفيد المتوكل: استفادت أم موسى القهرمانة من مركزها ومكانتها في القصر وأبصرت بعينها ضعف الخليفة المقتدر وسيطرة النساء على أمره، مما دفع بها إلى تزويج ابنة أخيها أحمد بن العباس من أبي العباس محمد بن إسحاق ابن المتوكل على الله مستغلة إصابتها بالخليفة المقتدر بالله بمرض شديد سنة 310 هـ (137). وكان محمد بن إسحاق من سادة بني العباس ويترشح للخلافة لما يمتلك من صفات تؤهله لذلك مثل " النعم العظيمة، حسن المرأة واللبسة والدواب والراكب " (138). " كما وصف بأنه من الخلفاء النجباء، وكان صديقاً لعلي بن عيسى " (139). وقد حققت هدفها عندما وقعت المصاهرة بينه وبين أخيها أحمد بن العباس وأقامت الأفراح وأسرفت كثير في نثر الأموال، واستقبال عدد كبير جداً من المدعوين ولعدة أيام . وأدركت أم المقتدر بالله مخططاتها، فأمرت بالقبض عليها سنة 310 هـ وقالت لها "قد دبرت على ولدي ، وصاهرت ابن المتوكل على الله، حتى تقعد به إلى الخلافة"

(¹³³) الصابي ، الوزراء ، ص 381.

(¹³⁴) المسعودي، مروج ، ج4، ص 132، 305.

(¹³⁵) وفاء محمد علي، الزواج السياسي في عهد الدولة العباسية ، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة ،

1988

(¹³⁶) مليحة ، دور المرأة ، ص 768.

(¹³⁷) الطبري، تاريخ ، ج11، ص 227.

(¹³⁸) الطبري، تاريخ ، ج11، ص 227؛ الذهبي، تاريخ، ص 49.

(¹³⁹) ابن مسكويه ، تجارب، ج1، ص 83 – 84.

(140). فسلمتها إلى ثمل القهرمانه، مع أختها وأخيها أحمد بن العباس، واستطاعت القهرمانه ثمل أن تستخرج وتصادر منها جزءاً كبيراً من الأموال والجواهر النفيسة ومن الثياب والفوش والكسوة والطيب(141). وأنشأ الوزير علي بن عيسى لذلك ديوان المقبوضات **وقلده أبي شجاع** وقلد ديوان الزمام عليه عبد الله اليوسفي الكاتب (142).

ويذكر ابن مسكويه " أنه صودر لأم موسى مبلغ ألف ألف دينار "(143). وكان لأم موسى المكانة المرموقة، حيث تقدم الهدايا والهبات لخواصها ومادحها من الشعراء حتى أنها كافأت محمد بن يحيى الصولي مبلغ 5000 درهم(144). وبعد اعتقالها تم صرف عمالها وخواصها وعزلهم عن الولايات والمراكز والمناصب الهامة وتم مصادرة عمال فارس والاهواز وفي سنة 314 هـ توفي أحمد بن العباس أخو أم موسى وأختها أم محمد، فرضي عنها المقتدر بالله ، وأمر بإخراجها من السجن، ورد إليها ضياعها وأملأها المصادرة ، وفي سنة 320 هـ أمر الخليفة القاهر بالله بالقبض على أم موسى القهرمانه وعذبها (145). وماتت سنة 327 هـ في خلافة الرازي (146).

القهرمانه زيدان: عاصرت السيدة أم المقتدر بالله، وكانت وصيفتها المقرية لها وكانت مهمتها الإشراف على حبس الوزراء والكتاب المعتقلين لديها، وعرفت بحسن معاملتها لهم، حيث كافأها الوزير ابن الفرات ومنحها في وزارته الثانية سنة 300 هـ نواحي كسكر، ومستغلات في البصرة ، وكور دجلة (147). وكانت توجه إليها الخطابات من قبل الوزير ابن الفرات ، ومن الوزراء الذين اعتقلوا لديها بالإضافة إلى ابن الفرات (148) الوزو علي بن عيسى سنة 304 هـ ، وكذلك الوزير أبي العباس الخصيبي وابنه

(¹⁴⁰) ابن الأثير، الكامل ، ج11، ص ؛ وفاء ، الزواج السياسي، ص 70.

(¹⁴¹) ابن مسكويه ، تجارب، ج1، ص 83 – 84.

(¹⁴²) التنوخي، نشوار، ج1، ص 242 – 243؛ الذهبي، تاريخ ، ص 49، آدم متز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة محمد بن عبد الهادي أبو ريده ، دار الكتاب العربي، بيروت 1967 م ، ص 300.

(¹⁴³) الطبري، تاريخ ، ج11، ص 118.

(¹⁴⁴) ابن مسكويه ، تجارب ، ج1، ص 83 – 84 ؛ ابن الجوزي، المنتظم ، ج6، ص 166.

(¹⁴⁵) الذهبي ، تاريخ ، ص 399.

(¹⁴⁶) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي، أخبار الرازي والمتقي، نشره ، ط2، دار البيان. بيروت، 1975) ص 132 – 133.

(¹⁴⁷) الطبري، تاريخ ج11، ص 227؛ مجهول ، العيون ، ج4، ق2، ص 183 – 184؛ الصابي، الوزراء، ص 37.

(149). وقد نالت القهرمانة زيدان مكانة لدى الخليفة المقتدر بالله ، حيث أهدى إليها سبعة جواهر ، فغضبت السيدة من ذلك واتهمتها بسرقتها من خزانة الجواهر(150). كما كانت تقوم بمهمة الوساطة بين هؤلاء الوزراء والسجناء وبين الخليفة والسيدة أم المقتدر(151)، وبلغ دخلها الشهري خمسة آلاف دينار(152).

القهرمانة نظم: من قهرمانات السيدة أم المقتدر بالله ، وكان يجري على يديها أمور كبيرة وصغيرة ، فقد سعت لأبي القاسم وجعلته من المقربين للسيدة فقام بخدمتها وتيسرت أموره المادية ، وقد أهدته السيدة في حفلة ختان ابنه هدايا لم يسمع بها قبل ذلك (153).

القهرمانة ثمل (295 – 317 هـ): كانت قهرمانة لأحمد بن عبد العزيز بن أبي دلف ، وكان هذا يسلم إليها من يسخط عليه من جواريه وخدمه، فاشتهرت بالقسوة والسرف في العقوبات، ثم اشترتها السيدة واتخذتها قهرمانة لها (154). وفي سنة 306 هـ أمرتها السيدة أم المقتدر أن تجلس في الرصافة للنظر في المطالم ورقاع الناس في كل يوم جمعة، وقد ساعدها في تنفيذ هذه المهمة القاضي أبي الحسن ابن الأثناني(155). وأخرجت التوقيعات على سداد ، وكان يحضر مجلسها القضاء والفقهاء، كما كانت تشرف على تعيين الكتاب للسيدة ، فقد عينت لها بعد وفاة محمد بن عبد الحميد 307 هـ أحمد بن عبد الله بن الخصيب (156). كما أشرفت القهرمانة ثمل على السجناء وكانت توقع بهم أقصى العقوبات فسلمت إليها السيدة القهرمانة أم موسى وأختها أم محمد وأخوها أحمد بن العباس سنة

⁽¹⁴⁸⁾ ابن مسكويه ، تجارب ، ج1، ص 58؛ الصابي، الوزراء، ص 37؛ مجهول، العيون، ج4، ص 183.

⁽¹⁴⁹⁾ ابن الأثير، الكامل ، ج6، ص 185؛ مليحة ، دور المرأة ، ص 771.

151) الذهبي، تاريخ ، ص 397؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ، ج3،

ص 243؛ السيوطي، تاريخ ، ص 308.

⁽¹⁵¹⁾ ابن مسكويه ، تجارب ، ج1، ص 87؛ الصابي، الوزراء، ص 197.

⁽¹⁵²⁾ الزهراني، العجز، ص 223.

⁽¹⁵³⁾ ابن الجوزي، المنتظم ، ج6، ص 74؛ مليحة ، دور المرأة ، ص 771.

⁽¹⁵⁴⁾ الطبري، تاريخ ، ج11، ص 227؛ ابن مسكويه، تجارب ، ج1، ص 83-84.

⁽¹⁵⁵⁾ ابن الجوزي، المنتظم ، ج6، ص 148، الذهبي، دول الإسلام ، ج2، دائرة المعارف العثمانية ، ،

آباد الدكن الهند، 1945، ص 150؛ السيوطي، تاريخ ، ص 282؛ الحنبلي، شذرات الذهب ج.1، ص

⁽¹⁵⁶⁾ الطبري ، تاريخ ، ج11 ص 282؛ الحنبلي، شذرات الذهب، ج1، ص 247.

310هـ. وعذبته أشد العذاب وصادرت أموالهم (157). وقد تردد على قصرها كبار الشخصيات ومنهم أبو المنذر النعمان الذي يأس من وزارة ابن الفرات (158). وماتت القهرمانة ثمل سنة 317هـ (159).

دور القهرمانات السياسي والاداري خلال عصر الخلفاء: المتقي لله (329-333هـ) والمستكفي (333 – 334هـ)

حسن الشيرازية (229 – 334هـ): فارسية الأصل، اتخذها الخليفة المتقي لله قهرمانة له (329-333هـ) ثم أصبحت قهرمانة الخليفة المستكفي بالله (333 – 334هـ) بعد أن جاءت به إلى الخلافة، وأطلقت على نفسها اسم علم (160)، وكانت تختلف عن بقية القهرمانات لما امتازت به " من شدة وقسوة وشراسة " (161). وكانت ذات نفوذ سياسي قوي كما وصفت بأنها " امرأة شهمة، جزلة فهمة " (162). كانت تتقن اللغتين العربية والفارسية. استطاعت بذكائها ودهائها أن تثير القلاقل وتبث الدعايات المشوشة حول الخليفة المتقي بالله وتخيف منه القادة الأتراك والجند فتقول لهم: " هذا الخليفة قد عاداكم وعاديتموه، وكاشفكم وكاشفتموه، وليس يجوز أن تصفو نيته لكم آخر الدهر، وقد اجتهد في يولكم ، فلم يتم له فمرة ببني حمدان، ومرة ببني بويه " (163).

وكانت تهدف من هذه الدعاية المغرضة نقل الخلافة إلى المستكفي بالله ، فحاولت بشق الطرق المزيفة أن توصل أخبار عن هذا الخليفة المرشح إلى قائد الجيوش توزون وهو صاحب الأمر والنهي ، وقد ترددت بشأن ذلك على ابن مالك الديلمي "" وكان له عند القائد توزون مكانة جليلة " ويذكر ابن

(157) الطبري ، المصدر نفسه ، ج11، ص 227؛ الذهبي (748هـ / 1347م) شمس الدين محمد بن أحمد ، دول الإسلام (جزءان) الطبعة الثانية ، مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية ، حيدرآباد الدكن ، الهند ، 1945م ، ص 49.

(158) الصابي، الوزراء ، ص 48.

(159) الذهبي، تاريخ ، ص 380.

(160) ابن مسكويه، تجارب ، ج2، ص 75؛ النويري، نهاية الارب ، ج23، ص 180

(161) مجهول ، العيون، ج4 ق2، ص 403.

(162) ابن مسكويه ، تجارب، ج2، ص 73 – 74؛ مجهول ، العيون ، ج4، ق3، ص 403.

(163) مليحة ، دور المرأة ، ص 770.

مسكويه أن حسن الشيرازية لها ابنة متزوجة بأبي أحمد الشيرازي وهو من المتنفذين مع حماته في الدولة، وكانت هي "وابنتها امرأتي سوء مشهورتين بشرب النبيذ والفاحشة" (164). واستطاعت بذكائها أن تقنع الديلمي بالأمر فيقول "إن هذه المرأة تزعم أن رجلاها هنا يلتبس بالخلافة، يقال له عبد الله بن المكتفي، ويضمن أنه يحمل إلى توزون إذا قبض على المتقي لله ستمائة ألف دينار، على أن يسلم إليه المتقي لله وحاشيته وسألني أن أكون سفيرا بينه وبين توزون" (165). وقد وصفت حسن الشيرازية الخليفة المرشح على هذا النحو "ها هنا رجل من ولد الخلافة من فهمه وعقله ودينه ورجلته تنصبونه للخلافة، وتيلون المتقي" (166). ونجحت في تحقيق هدفها، حيث استطاعت أن تجمع بين قائد الجيش توزون والخليفة المرشح للخلافة والذي كان يتنكر بزي امرأة، فكانت تعقد اجتماعاتهم سرا. وتمت البيعة لعبد الله بن المستكفي سنة 333 هـ (167)، ثم ألقى القبض على الخليفة المتقي لله وحاشيته، وأشرفت حسن الشيرازية بنفسها على سمل عيني الخليفة المتقي لله بيد غلامها السندي لتسقط حقه في الخلافة بفقدانه إحدى حواسه الخمس (168).

الخليفة المستكفي بالله 333 – 334 هـ: استطاعت القهرمانه حسن الشيرازية أن تحقق هدفها وتنصب المستكفي للخلافة 333 – 334 هـ، فاستولت على أمره، وقد عينت زوج ابنتها أبي أحمد الفضل بن عبد الرحمن الشيرازي، كاتبا للخليفة، وتولى ضياعه فأصبحا هما المسيطرين على جميع أمور الخلافة (169). ثم غيرت اسمها إلى علم، فأخذت تبحث عن ذخائر وأموال المتقي لله، ففازت بأكثرها، وتحمل إلى الخليفة المستكفي بالله ما يشتهر منها (170). كما قامت بكبس منازل التجار، وتأخذ أموال الناس بالباطل فاحتج التجار على تصرفات القهرمانه، وعندما علم توزون بأمرها أخبر الخليفة بذلك وأعاد أموال الناس والتجار إليهم (171).

(164) ابن مسكويه، تجارب، ج2، ص 73؛ مجهول، العيون، ج4، ص 403، 415.

(165) ابن مسكويه، تجارب، ج2، ص 75؛ مجهول، العيون، ج4، ق2، ص 403؛ النويري، نهاية الأرب، ج23، ص 181.

(166) ابن مسكويه، تجارب، ج2، ص 73.

(167) المصدر نفسه، ج2، ص 72؛ مجهول، العيون، ج4، ق2، ص 409.

(168) ابن مسكويه، تجارب، ج2، ص 73؛ مجهول العيون، ج4، ص 409.

(169) مجهول، العيون، ج4، ص 419؛ النويري، نهاية الأرب، ج23، ص 184.

(170) مجهول، العيون، ج4، ق2، ص 415.

(171) ابن مسكويه، تجارب، ج2، ص 75؛ مجهول، العيون، ج4، ق2، ص 416.

وبلغ من قوتها وجراتها أن شكلت لها مجلسا خاصا أطلق عليه اسم " الحدودان " وضم عدد من أعوانها ومنهم " أبي طلحة ، سنيدي الذي سمل عيني المتقي لله " وقد ألبسهم لباسا خاصا " يرتدون السيوف والمناطق " ويدخلون على الخليفة في أي وقت دون استئذان (172). كما أشرفت على أمور الحجاب والغلمان والرجالة وجميع من في القصر وتناقش أمورهم في مجلسها "الحدودان " بحضرة الوزراء والحجاب وأدى هذا إلى ذهاب رسوم الخلافة " وأصبحت دار الخلافة طريقا لكل من لم يراها " (173).

وعندما استوحش الخليفة المستكفي بالله من أمير الأمراء ابن شيرزاد ، كاتب الديلم سرا على يد الشيرازية والشيرازي (174)، فدخل بني بويه بغداد سنة 334هـ ، فألقى معز الدولة البويهى القبض على حسن الشيرازية والخليفة المستكفي بالله لأنها " دعت دعوة عظيمة حضرها جماعة من قواد الديلم فاتهمها الأمير معز الدولة أنها فعلت ذلك لتأخذ عليهم البيعة للمستكفي، وأن ينقضوا رئاسة معز الدولة عليهم، فساء ظنه لما رأى من جسارتها وإقدامها على قلب الدول " (175). فضيق عليها وعلى ابنتها وأمر بسمل عيناها وقطع لسانها (176).
الاستنتاجات:-

شكل عصر النفوذ التركي حكم المرأة وتدخلها المباشر في شؤون الدولة مما ساهم في اضطراب الأوضاع السياسية على مستوى الخلافة والوزارة بتنصيب وعزل الوزراء، وأيضا التحكم في سياسة الدولة كما حصل مع السيدة أم المقتوب بالله ، والعمل على تسويق الخلافة لأبنائهن كما حصل مع السيدة قبيحة أم المعتز بالله.

استغلال القهرمانات ضعف الخلفاء أثناء هذه الفترة مما أدى إلى زيادة تدخلهن في الأمور السياسية والإدارية التجرو على خلع الخلفاء كما حصل مع القهرمانه حسن الشيرازية، وكذلك التدخل في تعيين وعزل الوزراء كما حصل مع القهرمانه أم موسى الهاشمية وأيضا التدخل في شؤون القضاء والعمل به كما حصل مع القهرمانه ثمل في عهد المقتوب بالله. وكذلك تدخل وتحكم النساء خلال هذه الفترة بالأمور

(¹⁷²) مجهول ، العيون ، ج4، ق2، ص 416 – 417.

(¹⁷³) ابن مسكويه ، تجارب، ج2، ص 86؛ مجهول ، العيون، ج4، ق2، ص 417.

(¹⁷⁴) مجهول، العيون ، ج4، ق2، ص 417.

(¹⁷⁵) ابن مسكويه، تجارب، ج2، ص 86؛ ابن الأثير، الكامل، ج8، ص 450؛ النويري، نهاية الارب، ج23، ص 184.

(¹⁷⁶) ابن مسكويه، تجارب، ج2، ص 86؛ النويري، نهاية الارب، ج23، ص 184.

المالية واستثنائهم بأموال الدولة، واستحداث الدواوين لمصادرة الأموال ، وتراس اجتماعات المجالس لمناقشة أمور الدولة وبحضور كبار الشخصيات في الدولة رغم افلاس الخزينة .
قائمة المصادر العربية:-

- ابن أبي أصيبعة (ت 668هـ / 1269م) ، أبو العباس موفق الدين أحمد بن القاسم ، عيون الأبناء في طبقات الأطباء (جزءان) دار الثقافة ، بيروت ، لبنان .
- ابن الأثير ، (ت 630هـ / 1233م) عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن أحمد بن عبد الكريم الشيباني، الكامل في التاريخ (12 جزء)، دار صادر بيروت ، 1979م.
- ابن تغري بردى (ت 874هـ / 1469م) أبو المحاسن جمال الدين يوسف ابن تغري بردى ، النجوم الزاهدة في ملوك مصر والقاهرة، (16 جزء) دار الكتب المصرية ، القاهرة ، 1955.
- التنوكي، (ت 384هـ / 944م) أبو علي المحسن بن علي القاضي، جامع التواريخ المسمى نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة (ثمان أجزاء) تحقيق عبود الشالحي ، دار صادر بيروت ، 1973 .
- الثعالبي، (ت 429هـ / 1038م) أبو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي النسابوري، لطائف اللطف ، (مجلد واحد) تحقيق عمر الأسعد ، الطبعة الثانية، دار الميسرة ، بيروت 1987م.
- ابن الجوزي، (ت 597هـ / 1200م) أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك (18 جزء) تحقيق محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، مراجعة نعيم زرزور، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان، 1992م.
- الحنيلي (1089هـ / 1678م) أبو الفلاح عبد الحي بن العمار الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب (ثمان أجزاء) دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- الخطيب البغدادي (463هـ / 1070م) أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي، تاريخ بغداد، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان.
- الذهبي (748هـ / 1347م) شمس الدين محمد بن أحمد ، العبر في خبر من غير (أربعة أجزاء) تحقيق أبي هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول ، الطبقة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، 1985 .
- الذهبي (748هـ / 1347م) شمس الدين محمد بن أحمد ، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (حوادث سنوات) تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري، ط1، دار الكتب العربي ، بيروت - لبنان ، 1992.
- الذهبي (748هـ / 1347م) شمس الدين محمد بن أحمد ، دول الإسلام (جزءان) الطبعة الثانية ، مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية ، حيدرآباء الدكن ، الهند ، 1945م.

ابن الساعي، (ت 674هـ / 1275م) تاج الدين أبي طالب علي بن أنجب ابن الساعي الخازن البغدادي، نساء الخلفاء المسعى جهات الأئمة الخلفاء من الحرائر والإماء، تحقيق مصطفى جواد ، دار المعارف مصر.

السيوطي، (ت 911هـ / 1505م) جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تاريخ الخلفاء ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، الطبعة الرابعة ، القاهرة.

الصابي، (448هـ / م) أبو الحسن الهلال بن المحسن الصابي، الوزراء أو تحفه الأمراء في تاريخ الوزراء (مجلد واحد) تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، دار إحياء الكتب العربية ، 1958م.

الأصفهاني (ت 356هـ / 967م) أبو الفرج علي بن الحسين الأغاني، (25 جزء) تحقيق ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان.

الصولي (335 هـ / 946م) أبو بكر محمد بن يحيى ، أخيار الراضي والمتقي (مجلد واحد) نشرة (ج . هيورت) الطبعة الثانية ، د.ت دار الميسرة ، بيروت - لبنان.

الشابشتي (ت 388هـ / 998م) أبو الحسن علي بن محمد ،الديارات ، تحقيق كوركيس عواد ، مطبعة المعارف ، بغداد ، 1951م، 1966م. دار الرائد العربي ، بيروت - لبنان ، د.ت.

الطبري (ت 310هـ / 923م) أبو جعفر محمد بن جرير ، تاريخ الأمم والملوك (11 جزء) تحقيق محمد أبي الفضل ابراهيم ، بيروت - لبنان.

ابن العمري(ت 580هـ / 1184م) محمد بن علي بن محمد ، الأنباء في تاريخ الخلفاء (مجلد واحد) تحقيق د. قاسم السامرائي، لا يدن، 1973م.

ابن كثير (ت 774هـ / 1372م) عماد الدين أبي الفداء اسماعيل بن عمر الدمشقي، البداية والنهاية (14 جزء) دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان، 1988م.

المسعودي(ت 346هـ / 957م) أبو الحسن علي بن الحسين بن علي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر (أربعة أجزاء) تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ج4.

ابن مسكويه (421هـ / م) أبو علي أحمد بن محمد ، تجارب الأمم (أربعة أجزاء) دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة.

مؤلف مجهول ، العيون والحدائق في أخبار الحقائق (أربعة أجزاء) تحقيق عمر السعيد، دمشق ، 1973م، (ج4ق2).

ابن منظور (ت 711 /) لسان العرب المحيط ، أعاد بناءه يوسف خياط ، دار لسان العرب، بيروت ، مج 3.

النويري(ت 732هـ / 1332م) شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، نهاية الارب في فنون الأدب (27 جزء) تحقيق، د. كمال زكي، الهيئة المصرية، 1980.

المراجع:-

اسماعيل، اكتمال، الحياة الاقتصادية والاجتماعية في العراق من (447هـ - 590هـ) دمشق، 1990م.
حاتمة، عبد الكريم، المعتمد في خلافة المعتضد بالله العباسي، أحمد بن الموفق، 279 - 289 هـ / 892 - 902 م.

حمادة ، محمد ماهر، الوثائق السياسية والإدارية العائدة للعصور العباسية المتتابة 247-656هـ ، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1985م.

سويد، أحمد ، نساء شهيرات من تاريخنا، الطبعة الثانية، مؤسسة المعارف بيروت، 1990م.

ضيف، شوقي: العصر العباسي الثاني، الطبعة الثانية، دارالمعارف، مصر، 1975.

عاصي، كريم ، نساء العرب، الطبعة الأولى، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1991م.

علم الدين ، مصطفى، الزمن العباسي، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1993م.

الكوفي، محمد ابراهيم، نساء فاضلات، دارالنصر.

معتر، آدم ، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريده، دار الكتاب العربي، بيروت، 1967.

محمد علي، وفاء، الزواج السياسي في الدولة العباسية، الطبعة الأولى، دار الفكر العربي، القاهرة، 1988م.

المجلات:

رحمة الله ، مليحة ، دور المرأة السياسي في العصر العباسي الثاني، مقالة في مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، عدد (14) ، 1971م.

الزهراني، ضيف الله ، العجز في الدولة العباسية (247 - 320 هـ) مقالة في مجلة أم القرى ، عدد (2) ، السنة الأولى ، 1989م.